

فجرُ القُدَى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

داود

١٢

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للصغار واليا فعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يوسف عليه السلام
- ٨- شعيب عليه السلام
- ٩- أيوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الانبياء ، قصصٌ أُنبِرت وزيدت إشرافاً بذكر أخبار رُسل
الرحمة والإنسانية ، رُسلِ المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ،
صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أثاروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلحوا منها
الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادةِ إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام
وانتهاءً بمُخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي
أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسل وأنبياء .
قال الله تعالى: (وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْ بِهِ فُؤَادُكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَرُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه

أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار :

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963 +

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داودُ النبيُّ والملكُ

هُوَ دَاوُدُ بْنُ إِيشَا وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بَيْنَ الْمُلْكِ وَالنُّبُوَّةِ، وَبَيْنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِذْ كَانَ الْمُلْكُ يَكُونُ فِي أَحَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالنُّبُوَّةُ فِي آخَرَ، وَلَكِنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِي دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ:

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ^(١) وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ^(٢) ﴾.

(١) الحكمة: النبوة.

(٢) سورة البقرة / ٢٥١.

داودُ الأَوَابُ

كَانَ دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ كَثِيرَ الصَّيَامِ، مَنَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُوَّةَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحِ، وَسَحَّرَ لَهُ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ اللَّهَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَوَهَبَهُ صَوْتًا عَظِيمًا، فَإِذَا تَرَّجَمَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ «الزَّبُور» وَقَفَ الطَّيْرُ يُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ. يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا (١) الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٢)﴾ إِنَّا سَخَرْنَا لِجِبَالٍ مَعَهُمْ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً (٣) كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْفُطُوبِ (٢٠) ﴿٤﴾

وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ. كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا...».

وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَاكِمًا عَادِلًا مُتَّبِعًا لِلْحَقِّ الْمُنَزَّلِ

(١) ذا الأيد: القوة في العبادة.

(٢) أواب: رجّاع إلى مرضاة الله.

(٣) محشورة: مجموعة.

(٤) سورة: ص ١٧ - ٢٠.

مِنْ اللَّهِ، فَاقْتَدَى بِهِ النَّاسُ فِي عَذْلِهِ وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ، فَكَانَتْ لَا تَمُضِي سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ إِلَّا وَهُوَ مُتَعَبِّدٌ مَعَ أَهْلِهِ، شَاكِرٌ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نِعَمِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

طَالُوتُ وَدَاوُدُ

انْحَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَقْوَامًا غَلِبُوهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَظَلُّوا عَلَى ذَلِكَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ، حَتَّى كَانَ نَبِيُّهُمْ "صَمُوئِيلُ" فَاجْتَمَعُوا حَوْلَهُ وَفَزَعُوا إِلَيْهِ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَخْتَارَ لَهُمْ مَلِكًا، يَخْضَعُونَ لِسُلْطَتِهِ وَيَأْتِمِرُونَ بِأَمْرِهِ، لَعَلَّهُمْ بِهِ يَغْلِبُونَ الْعَدُوَّ. وَلَكِنَّ صَمُوئِيلَ كَانَ قَدْ خَبِرَهُمْ وَعَرَفَ خُبَايَا أَنْفُسِهِمْ وَتَوَقَّعَ أَنْ يَتَخَذَلُوا إِذَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ فَقَالُوا لَهُ:

- كَيْفَ نَتَخَذَلُ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا؟ وَمَاذَا عَسَانَا نَفْعَلُ بَعْدَ هَذَا الدَّلِّ الَّذِي ابْتَلَيْنَا بِهِ غَيْرَ الدَّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِنَا؟

فَتَوَجَّهَ صَمُوئِيلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَوْحِيهِ فِي شَأْنِهِمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ:

(١) سورة: سبأ / ١٣ .

- إِنِّي اخْتَرْتُ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ
لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَهُ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ
دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ
طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ
وَلَمْ يَأْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴿١٧﴾ ۝

وَلَمْ يَكُنْ طَالُوتَ هَذَا غَنِيًّا، وَافِرَ الْمَالِ، وَإِنَّمَا كَانَ فَقِيرًا،
يَزْعَى الْمَاشِيَّةَ لِأَبِيهِ، بَلْ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا ذَائِعَ الصِّيتِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ، رَزَقَهُ مَيْلًا إِلَى الْحَرْبِ، فَكَانَ عَارِفًا بِالْحُرُوبِ قَائِدًا
مُحَنِّكًَا، وَعِنْدَمَا أَخْبَرَ صَمُوئِيلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ
اخْتَارَ طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ، ذَهَلُوا وَعَبَّرُوا عَنْ رَفْضِهِمْ وَغَضَبِهِمْ
فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ :

- يَا قَوْمُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اخْتَارَهُ لَكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِبَوَاطِنِ
الْأُمُورِ وَبِمَصَالِحِكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَرَفُضُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ .

وَهَكَذَا أَصْبَحَ طَالُوتُ مَلِكًا عَلَيْهِمْ، فَأَحْسَنَ قِيَادَةَ الْجُنُودِ، وَتَجَهَّزَ مَعَ قَوْمِهِ لِمُلَاقَاةِ الْأَعْدَاءِ الَّذِينَ كَانَ يَتَرَعَّمُهُمْ رَجُلٌ قَوِيٌّ الْجِسْمِ، عَرِيضُ الْمَنَكِبَيْنِ، شَدِيدُ الْمِرَاسِ، فِي الْحَرْبِ خَبِيرٌ بِهَا، يُدْعَى «جَالُوتَ» وَالتَقَى الْجَمْعَانِ فِي حَرْبٍ وَطِيسٍ^(١)، وَعِنْدَمَا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي أَعْدَائِهِمْ رِجَالًا أَشَدَّاءَ، يَجُولُونَ وَيَصُولُونَ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، انْقَسَمُوا إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ مِنْهُمْ ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ، وَخَافُوا وَجَبُّوا فَتَرَاَجَعُوا عَنْ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾^(٢).

وَقِسْمٌ مِنْهُمْ مَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، فَظَلُّوا صَامِدِينَ صَابِرِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَيَقْتَحِمُونَ سَاحَاتِ الْوَعْيِ^(٣)، غَيْرَ وَجِلِينَ أَوْ خَائِفِينَ، يَطْلُبُونَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعِنْدَمَا رَأَى جَالُوتُ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ سَتَطُولُ، ظَهَرَ يَدْعُو لِلْمُبَارَاةِ، فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ وَخَافُوا بَطْشَهُ وَقُوَّتَهُ. عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ النَّبِيُّ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَسْتَطْلِعُ الْأَمْرَ، وَيَسْتَفْهِمُ عَنْ هَذَا الَّذِي خَافَهُ النَّاسُ وَخَشُوا

(١) حرب وطيس: حرب شديدة.

(٢) سورة البقرة (٢٤٩).

(٣) ساحات الوعي: ساحات المعارك.

لِقَاءَهُ، فَقَالُوا لَهُ:

- هَذَا جَالُوتُ زَعِيمُ الْأَعْدَاءِ، مَا بَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ إِلَّا رَدَّهُ جَرِيحًا
أَوْ قَتِيلًا، فَالْتَأَسَ لَهُ خَاصِعُونَ مُسْتَسْلِمُونَ. وَقَدْ جَعَلَ الْمَلِكُ
طَالُوتَ لِمَنْ يَقْتُلْ جَالُوتَ وَيُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ شَرَهُ وَكَيْدَهُ، مُكَافَأَةً
عَظِيمَةً وَهِيَ: أَنْ يُرَوِّجَهُ إِحْدَى بَنَاتِهِ، وَيَجْعَلَ الْمَلِكُ لَهُ مِنْ
بَعْدِهِ، فَدَبَّتِ الْحَمِيَّةُ فِي نَفْسِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَمَّمَ عَلَى أَنْ
يُخَلِّصَ شَعْبَهُ مِنْ هَذَا الْفَارِسِ الرَّعْدِيدِ، فَطَلَبَ مِنْ طَالُوتَ أَنْ
يَأْذَنَ لَهُ لِمُلاَقَاةِ جَالُوتَ، فَاسْتَخَفَّ طَالُوتُ بِهِ، وَهُوَ الْفَتَى الْغِرُّ
الَّذِي لَمْ يَتَدَرَّبْ بَعْدَ عَلَى فُنُونِ الْقِتَالِ وَالْمُرَاوَعَةِ، وَلَكِنَّ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصَرَ عَلَى مُتَازَلَةِ جَالُوتَ قَاتِلًا لِلْمَلِكِ:

لَا تَسْتَخِفَّ بِي أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَرَغَمَ صِغَرِ سِنِّي، وَضَعْفِ
جِسْمِي، إِلَّا أَنِّي سَأَنْتَصِرُ عَلَيْهِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَغْمُرُ قَلْبِي
وَالْحَقْدَ الدَّفِينِ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَغْلِي فِي صَدْرِي، وَعِنْدَمَا رَأَى
طَالُوتُ تَضْمِيمَ دَاوُدَ عَلَى الْقِتَالِ، مَنَحَهُ ثِيَابَهُ وَتُرْسَهُ وَسَيْفَهُ، إِلَّا
أَنَّ دَاوُدَ أَلْقَاهَا جَمِيعًا، وَذَهَبَ إِلَى عَدُوِّهِ جَالُوتَ، مُسَلِّحًا
بِمِقْلَاعٍ وَبَعْضِ الْأَحْجَارِ، وَعِنْدَمَا رَأَهُ جَالُوتُ سَخِرَ بِهِ وَاسْتَهْزَأَ
بِمِقْلَاعِهِ وَحَجَرِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ دَاوُدَ إِلَّا أَنْ تَنَاولَ حَجَرًا وَوَضَعَهُ
فِي الْمِقْلَاعِ وَأَطْلَقَهَا، فَأَصَابَتْ جَالُوتَ إصَابَةً قَاتِلَةً، ثُمَّ أَتْبَعَهُ
بِأُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى أَنْ سَقَطَ صَرِيحًا عَلَى الْأَرْضِ، فَانْتَصَرَتْ

رَأَيْتُهُ الْحَقَّ وَانْهَزَمَ الْأَعْدَاءُ، وَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حَوْلَ دَاوُدَ،
وَاتْتَلَفَتْ عَلَى مَحَبَّتِهِ الْقُلُوبُ، فَمَنْحُوهُ الْحُبَّ وَالْوُدَّ وَالْإِخْلَاصَ،
وَصَارَ حَدِيثُ الْقَوْمِ، وَمِخْوَرُ اهْتِمَامِهِمْ، يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ^(١)،
وَوَفَى طَالُوتُ بِوَعْدِهِ وَزَوَّجَ ابْنَتَهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَاشَ
مَعَهَا سَعِيدًا هَانِيًا لَكِنَّ السَّعَادَةَ وَالْهَنَاءَةَ لَا تَدُومُ، فَقَدْ تَغَيَّرَ
طَالُوتُ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ حِقْدًا وَغِيْرَةً، مِنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ
أَنْ انْقَضَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ، إِثْرَ الْإِنْتِصَارِ الَّذِي حَقَّقَهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَعَزَمَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهُ فَدَعَاهُ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلًا:

- يَا دَاوُدُ إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ وَجَمَعُوا جُمُوعَهُمْ
يُرِيدُونَ قِتَالَنَا، فَاذْهَبْ إِلَيْهِمْ وَلَا تَعُدْ إِلَّا مُنْتَصِرًا، أَوْ مَحْمُولًا
عَلَى الْأَكْتَاْفِ، وَحَسِبَ طَالُوتُ أَنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْهُ، فَهُوَ حَسَبَ
زَعْمِهِ، لَنْ يَعُودَ أَبَدًا وَلَكِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَمَلَ عَلَى
الْأَعْدَاءِ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ اِنْتِصَارًا عَظِيمًا، وَعِنْدَمَا سَمِعَ طَالُوتُ
بِإِنْتِصَارِهِ عَزَمَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَنْ يَقْتُلَهُ بِنَفْسِهِ، وَعَلِمَتْ زَوْجَةُ دَاوُدَ
بِنِيَّةِ أَبِيهَا، فَصَحَّتْ زَوْجَهَا بِالْهَرَبِ نَجَاةً بِحَيَاتِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ
دَاوُدَ إِلَّا أَنْ تَجَهَّزَ هَارِبًا فِي غَلَسٍ^(٢) اللَّيْلِ، فَأَوَى إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ
سَرْعَانَ مَا عَرَفَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَهَرَّعُوا إِلَيْهِ، تَارِكِينَ طَالُوتَ فِي

(١) البنان: الأصابع.

(٢) غلس الليل: ظلام الليل.

كَمِدِهِ وَغَيْظِهِ، الَّذِي تَجَهَّزَ مَعَ قَوْمِهِ الضَّالِّينَ، يُرِيدُ مُقَاتَلَةَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَرَجَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَلَّا يَبْحَثُ عَنْ طَالوُثَ، الَّذِي أَرْهَقَهُ الْمَسِيرُ فَنَامَ، فَتَسَلَّلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ وَاسْتَلَّ رُمَحَهُ وَخَرَجَ، وَعِنْدَمَا أَفَاقَ طَالوُثُ سَأَلَ عَنْ رُمَحِهِ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ بَعْنَهُ دَاوُدُ إِلَيْهِ قَائِلًا:

- يَا طَالوُثُ هَذَا رُمَحُكَ، وَقَدْ مَكَّنَ اللَّهُ لِدَاوُدَ مِنْ رَأْسِكَ، إِلَّا أَنَّهُ عَفَا عَنْكَ، وَقَدْ كَانَ قَادِرًا عَلَى قَتْلِكَ، فَتَأَثَّرَ طَالوُثُ بِهَذَا الْكَلَامِ، تَأَثَّرًا شَدِيدًا، وَعَرَفَ سُوءَ نِيَّتِهِ، وَبَاطَلَ أفعَالِهِ فَنَدِمَ أَشَدَّ النَّدَامَةِ، وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ فِي الصَّخْرَاءِ يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَغْفِرَةَ، وَيَتَوَسَّلُ مِنْهُ التَّوْبَةَ حَتَّى مَاتَ.

أَمَّا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، مُبَايَعِينَ وَائِدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمُلْكِ وَالْحِكْمَةِ.

نِعَمُ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ

إِنَّهَا نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ غَمَرَ اللَّهُ بِهَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ أَنْ تُشَارِكُهُ الْجِبَالُ تَسْبِيحَهُ ﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴿﴾ (سبأ: ١٠).

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّسْبِيحُ خَاصًّا بِالْجِبَالِ وَحْدَهَا، بَلْ كَانَ لِلطَّيُورِ

مُشَارَكَةً فِيهِ أَيْضًا ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٩).

وَنُحْنُ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ رَبَّهُ وَيُزَيِّنُهُ، ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤).

أَمَّا سَيِّدُنَا دَاوُدُ فَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِبَالِ وَالطُّيُورِ انْسِجَامٌ فِي التَّسْبِيحِ فَهُوَ يُسَبِّحُ وَهِيَ تُؤَوِّبُ وَعُلِّمَ دَاوُدُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَايَهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٦).

فَالظَّاهِرُ أَنَّ سُلَيْمَانَ وَرِثَ عَنْ أَبِيهِ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَمِنْهَا مَا عَلَّمَهُ مِنْ مَنْطِقِ الطَّيْرِ وَالْإِنِّ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ﴾ ① أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتِ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿سبأ: ١٠-١١﴾.

فَكَانَ فِي يَدِهِ كَالشَّمْعِ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ إِحْمَاءٍ أَوْ طَرْقٍ.

وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُشِيرُ إِلَى التَّقَدُّمِ الْحَضَارِيِّ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي ذَاكَ الْحِينِ، وَقَدْ أَفَادَ مِنْ ذَلِكَ فَصَنَعَ الدَّرُوعَ الْمُرَكَّبَةَ مِنْ حَلْقِي الْحَدِيدِ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخَصِّنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿(الأنبياء: ٨٠)﴾.

وَشَدَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ، وَنَصَرَهُ عَلَى مُنَاقِرِيهِ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ (ص: ٢٠).

أَيُّ قَوَائِمِهِ بِالْهَيْبَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَكَثْرَةِ الْجُنُودِ. وَآتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ: أَيِ الثُّبُوتِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَأَعْطَاهُ الزُّبُورَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣).

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قَصَائِدَ وَأَنَاشِيدَ، تَتَضَمَّنُ تَسْبِيحَ اللَّهِ وَحَمْدَهُ، وَالتَّضَرُّعَ لَهُ، وَبَعْضَ أَخْبَارِ مُسْتَقْبَلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

أَيُّ أَنَّهُ تَضَمَّنَ الْإِخْبَارَ بِشَأْنِ النَّبِيِّ الْآتِي (مُحَمَّدٍ ﷺ)، وَأَصْحَابِهِ كَمَا فِي الزُّبُورِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ.

وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَسَنَ الصَّوْتِ، حَسَنَ الْإِنْشَادِ، حَتَّى إِنَّهُ إِلَى الْيَوْمِ مَضْرِبٌ لِلْمَثَلِ بِحُسْنِ الصَّوْتِ فَيَقَالُ لِلْحَسَنِ الصَّوْتِ: إِنَّهُ أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَرَامِيرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مَكَانُ الْعِبْرَةِ مِنْ قِصَّةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١ - إِنَّ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالَى لِيَفْعَلَ الْعَجَائِبَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَفْعَالِ، لِأَنَّهُ كَانَ غُلَامًا رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى بِيَدِهِ جَالُوتَ الْجَبَّارِ، الَّذِي تَحَامَتُهُ الْأَبْطَالُ، وَلَمْ يُقَاتِلْهُ بِسَيْفٍ أَوْ رُمْحٍ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَيْهِ بِدِرْعٍ وَلَا ثَوْبٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَهُ بِحَجَرٍ أَرْسَلَهُ مِنَ الْمِقْلَاعِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى قَهْرِ اللهِ تَعَالَى لِلْجَبَابِرَةِ بِأَخْفَرِ الْأَشْيَاءِ عَلَى يَدِ أَوْعَفِ الْعِبَادِ.

٢ - إِنَّ الشَّخْصَ الضَّعِيفَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنْتَسِرَ مِنَ النَّجَاحِ، وَلِأَحْزَانِ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ، مَا دَامَ مُعْتَصِمًا بِأَسْبَابِ الثَّقْوَى، وَالشُّكْرِ لِنِعْمِ اللهِ تَعَالَى.

٣ - إِنَّ انْتِصَارَ دَاوُدَ عَلَى جَالُوتَ لَمْ يُغَيِّرْ مِنْ طِبَاعِ دَاوُدَ وَلَمْ يَذْهَبْ بِهِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْكِبْرِيَاءِ، بَلْ لَمْ يَزِدْهُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا تَوَاضَعًا، وَكَانَ اللهُ يَزِفُّهُ دَرَجَاتٍ كُلَّمَا تَوَاضَعَ وَشَكَرَ.

٤ - إِنَّ طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى، وَشُكْرَ نِعَمِهِ، مِمَّا يُوجِبُ الْمَزِيدَ مِنْهَا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا رَأَى طَاعَةَ دَاوُدَ، وَشُكْرَهُ زَادَهُ مِنْ نِعَمِهِ، فَالَانَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدَّرُوعِ الْمَسْرُودَةِ، لِتُحَصِّنَ النَّاسَ مِنَ الْبَاسِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِوَلَدِهِ سُلَيْمَانَ، الَّذِي

وَرِثَهُ مُلْكُهُ، وَعِلْمُهُ، وَحِكْمَتُهُ.

٥ - حَفِظَ اللَّهُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَوَقَاهُ مِنَ الزَّلْزَلِ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْخَطَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكَينِ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانَيْنِ لِيَدْلَاهُ عَلَى الصَّوَابِ: يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَصِمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَلَحْكَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَيْنِ إِيغَابِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ (٤) لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ (٥) دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٦) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى (٧) وَحُسْنَ مَآبٍ (٨) ﴿

(١) عزني في الخطاب: أي غلبني في الجدل.

(٢) الخُلَطَاء: الشركاء.

(٣) ظن: أيقن.

(٤) لزلفى: زيادة الخير في الدنيا.

(٥) مآب: مرجع في الآخرة.

(٦) سورة: ص الآية (٢١ - ٢٥).

أصحاب القرية

اخْتَارَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَوْمَ السَّبْتِ يُقَدِّسُونَهُ، وَخَصَّصُوا لَهُ عِبَادَتِهِمْ وَلَطَاعَتِهِمْ، وَمَرَّتْ بِهِمُ الْآيَاتُ وَالسَّنُونَ، وَهُمْ عَلَى تَقْدِيرِهِمْ لِيَوْمِ السَّبْتِ سَائِرُونَ.

وَفِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا / أَيْلَةُ / عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، كَانَ يَسْكُنُهَا قَوْمٌ مِنْ سُلَالَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فِي عَهْدِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَتِ الْحِثَّانُ تَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَتَأْسُ وَتَتَكَاثَرُ، وَالنَّاسُ حِينَئِذٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَيْدَهَا، لِأَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يُمَارِسُوا الصَّيْدَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْأَحَدِ عَادَتِ الْحِثَّانُ إِلَى عَرْضِ الْبَحْرِ.

وَلَكِنَّ الْفَسَاقَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، نَسُوا تَعَالِيمَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَجَرَّهُمُ الطَّمَعُ إِلَى أَنْ يَصِيدُوا الْحِثَّانَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَذَلِكَ لِسُهُولَةِ صَيْدِهَا، وَعِنْدَمَا حَاوَلَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ صَدَّهُمْ عَنْ عَمَلِهِمْ هَذَا، طَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَقْسِمُوا الْقَرْيَةَ، فَارْتَضَى الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُقَاسِمُوهُمْ الْقَرْيَةَ، وَاسْتَمَرَّ الْفَسَاقُ فِي صَيْدِهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ، رَغْمَ مُحَاوَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ زَجْرَهُمْ وَرَدْعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَحَتَّى النَّبِيُّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا، فَاتَّجَهَ إِلَى رَبِّهِ، يَسْتَنْصِرُهُ وَيَطْلُبُ اللِّغَةَ عَلَيْهِمْ، فَأَجَابَ اللَّهُ سُؤَالَهُ، وَحَقَّقَ أَمْلَهُ.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَسَأَلَهُمْ^(١) عَنِ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً^(٢) الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ^(٣) فِي السَّبْتِ إِذْ
تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا^(٤) وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا
تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ
تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَنْتَفُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ^(٥) بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا
عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٩﴾﴾^(٦).

(١) وَاسْأَلَهُمْ: يَا مُحَمَّد.

(٢) حاضرة البحر: مجاورة لبحر القلزم وهو البحر الأحمر.

(٣) يعدون، يعتدون.

(٤) شُرَعًا: ظاهرة على الماء.

(٥) بئيس: شديد.

(٦) سورة الأعراف: (١٦٣ - ١٦٦).